

نحو رؤية جديدة للحرب العادلة في النظام الدولي (دراسة نقدية)

أ.م.د. أثير ناظم الجاسور

كلية العلوم السياسية/ الجامعة المستنصرية

Atheer_aljassour@yahoo.com

مستخلص البحث:

لم يعد المفكرين والباحثين والدارسين فيما يخص مفهوم الحرب ومخرجاتها يقفون عند حد قيام الحرب كحرب مدافع واحتلالات وغزوات أو التهديد بها بالرغم من تبعاتها بل راحوا يبحثون في أسس قيامها متجاوزين المفهوم التقليدي لها وأسبابها وعناصرها، وخوض غمار طرح أفكار هي بالحقيقة ليست جديدة لكن يحاولون من خلالها توظيف النظرية على الواقع الملموس من خلال قراءة الخطاب السياسي للقوى الفاعلة بالنظام والمنطلقات والاسس الفكرية التي تعزز تطور وحركة هذا المفهوم، فموضوع الدراسة كان ولا يزال يتطلب بحثاً عميقاً في تجليات الفكرة التي تستند على أسس تجعل منها ملائمة ومستساغة لدى الجميع بالرغم من انها تتعارض من حيث التطبيق مع المفاهيم التي تنطلق منها او ما تتبناه كأساس لانطلاقها فالبحث عن العدالة في فوضى الحروب يتطلب جهداً فكرياً وفلسفياً مروراً بتوظيف القدرات السياسية والدبلوماسية والعسكرية مشتركة في تحديد مدى تطابق النظرية مع الواقع.

الكلمات المفتاحية: الحرب – الخطاب السياسي – الحرب العادلة – توظيف القدرات – العدالة.

المقدمة Introduction

الكثير من الكتاب والمفكرين تناولوا قضية العدالة والاخلاق في الحرب وكيفية إضفاء هاتين الصفتين عليها بعد ان تم تناولها من مختلف جوانبها الفكرية والفلسفية والعملية، إلا إن الحرب بحد ذاتها تحمل الصفتين الشرعية وغير الشرعية التي تتطلب دراستها من حيث القوى الفاعلة فيها ومنطلقات تحقيقها، فالعدالة بمفهومها المجرد لا تعطي التبريرات للقتل والدمار واستخدام السلاح ولا حتى تجيز الاعتداء بمختلف الوسائل والمبررات التي تدفع لقيام الاعتداء، فالفرق المتحاربة ومن منطلق المنطق تُعد خاسرة سواء المنتصر أو المهزوم لما يحمله صراعهما من تبعات كبيرة بالأساس على الإنسان، والاثار التي تترتب عليه قضية الحرب وتبعاتها ومن ثم على كل ما هو معنوي هذا فضلاً عن الجوانب البشرية والنفسية، بالتالي فان تركيز فكرة العدالة في الحروب قد تكون مبررة من جهة أو يتبناها فريق يحاول تبرير عدوانه أو أسباب قيامه بها بهدف تحقيق مصلحة معينة، وطالما عملت الإمبراطوريات والدول فيما بعد على أن تكون الحرب هي أدواتها السياسية في تحقيق أهدافها أو النيل من الخصوم الذين يزامونها على القوة والسيطرة والوجود، بالتالي فان الحديث عن الحرب واخلاقيات الحروب قد يكون مرفوضاً لدى البعض لما تحتويه من دمار وكوارث ولا يمكن ان تبيح النظريات والافكار الفظائع التي تحملها الحرب، والبعض الاخر يرى ان الحرب لا بد من تحمل الجنبات الاخلاقية في سنها او التهديد بها بمستويات الدفاع عن النفس او دفع تهديد عن دول لا تستطيع الدفاع عن نفسها، بالمحصلة فان الحرب سواء تضمنت القواعد الاخلاقية ام انها حرب تحمل في طياتها كل ما له علاقة بالدمار وتحقيق المصالح اصبحت محل خلاف ليس للمدارس الفكرية والمنظرين بل حتى تلك القوى التي تجيز التدخل والاعتداء، بالتالي هناك انقسامات

منهجية وفكرية حول عدالة الحرب واخلاقياتها تحديداً في وقتنا الحاضر لما اعطته الحروب من مؤشرات او ما اعطته الدول من دلائل عن فضائع الحروب والاسباب التي شنت من اجلها، وحتى من خلال الادوات المستخدمة سواء في تسويق فكرة الحرب والمحااجة بقيامها او من خلال اثار ما بعد الحرب التي بالضرورة تحتاج لمراجعة لكل العوامل والاسباب والنتائج، بالتالي وبالرغم من ان هناك اسباب تدفع لرفض الحرب بالمقابل هناك اسباب ودوافع اخرى تضي على الحروب شرعيتها وسندها القانوني بما يتماشى وقواعد قانونية دولية، هذا ما يجعل الباحثين والكتاب في هذا الشأن يشهدون تناقضاً كبيراً بين الفكرة وتطبيقها.

أهمية الدراسة: the importance of studying

تنتقل أهمية الدراسة ان للحروب نتائج لا تحسب فقط وفق معادلة الضرر بهذا النظام السياسي او ذاك لا بل تتوسع رقعة التأثير على كافة من يعيش على ارض الدولة المعتدية والمعتدى عليها، بالمحصلة ما تحدده مبادئ الحرب العادلة او ما تم وضعه تحت بند المبادئ يجيز للدول القيام بالحرب لكن وفق شروط محددة لا يمكن ان تُعد الحرب عادلة ما لم يتم تنفيذها بما يجعلها قانوناً لا بد من التقييد به، خصوصاً وان الحرب التي باتت تحدث عنها القوى الكبرى هي حروب تحمل في طياتها صفات العدالة والاخلاق والشرعية القانونية التي تجيز لها القيام بفعل الحرب، وبما ان هذه الصفات موجودة اصبح من السهل القيام باي عمل مسلح بعد ان توافرت الشروط مما يسهل كسب تأييد الراي العام الداخلي والخارجي، لكن هذا لا يعني ان الحروب التي حدثت في القرنين العشرين والحادي والعشرين وحتى قبلهما هي توافرت فيها شروط العدالة والاخلاق، بالتالي بدا المفكرون والمنظرون وحتى المشرعين من مراجعة المنظومة القانونية الدولية التي باتت عاجزة عن مواجهة التحديات التي عصف بالنظام الدولي ولا زالت تحدد وتغير من معالمه التي ارتهنت باللمحة الدولية او الفارقة التي تخلقها القوة الاكبر، من ان شن حرباً عادلة اليوم قد دخل ضمن مفاهيم متعددة تجيز للدول التدخل في الشؤون الداخلية لدول اخرى تحت مسميات الديمقراطية وحرية التعبير وحقوق الانسان التي سمحت وتحت كل الظروف من ان تجعل من الدول رهينة هذه المفاهيم، بالتالي تكون عملية التدخل متعددة الواجه غير المفاهيم المذكورة فقط بل من الممكن ان تكون لتخليص شعب من قبضة دكتاتورية او لصالح حماية اقلية هنا وهناك من التعصب والتهميش والاضطهاد الذي تواجهه، بالتالي فان خوض حرباً عادلة وتحت اي مسمى او شعار لا بد ان يعالج من خلال ضوابط قانونية وتحمل صفتها الشرعية، بالاضافة إلى ان الحرب العادلة لا تكون بالضرورة حرباً بالسلاح والاحتلال والدفاع عن النفس بل لابد من توظيف المادية والبشرية القدرات لأجل خلق بيئة واجواء مختلفة عن منطق الحرب والقتل والتدمير باسم العدالة.

إشكالية الدراسة: The problem of studying

يحمل مفهوم الحرب العادلة في طياته جملة من التناقضات التي تتطلب التعمق في تفكيك المفهوم والوصول لنتائج تجعل من الباحثين على بينة من التمييز بين اسباب وعوامل الحرب التي تكون حتمية في مواقف كثيرة، وبين ان تكون حرباً مضمونها العدالة والاخلاق، وعليه تنطلق الاشكالية من فكرة مفادها:

- كيف تحدد الدول عدالة قضيتها التي من خلالها تلجأ لخيار الحرب، دون تحديد العوامل الاساسية لخوضها.
 - هل تستند الدول على اسس اخلاقية في خوض حروبها ام انها تتجه من خلالها لتحقيق مصالحها.
 - هل هناك طرق اخرى غير قوة السلاح تساهم في نشر العدل او تطبيقه وفق القواعد الاخلاقية والانسانية، من خلال تضافر الجهود لنشر العدالة بطرق مختلفة.
- فرضية الدراسة: Study Hypothesis**
- تنطلق فرضية الدراسة من جملة من الافتراضات التي تؤسس إلى قضية العدالة في الحرب واخلاقياتها التي مفادها:
- إذا كانت الحرب العادلة تحمل في طياتها بعداً انسانياً فكيف سيتم التعامل مع اشكالات ما بعد الحروب
 - القضايا الاخلاقية هي صورة من صور الحرب العادلة، بالتالي فان ضرورة الحرب لا بد ان تُبنى على معايير العدالة والاخلاق.
 - الاسباب التي تجعل من الحرب عادلة ام غير عادلة، هي النوايات التي على اساسها تنطلق منها الدول.

منهجية الدراسة: Study Methodology

من خلال دراسة الاسس الفكرية والنظرية لمفهوم الحرب العادلة وما تم تناوله من افكار ومبادئ بُنيت على اساسها كيفية الولوج في هكذا نوع من الحروب كان لا بد من دراسة الاحداث من الجوانب التاريخية من خلال استخدام المنهج التاريخي والمنهج التحليلي لمعرفة العوامل الاساسية والفاعلة في تضمين الفكرة وتحويلها على ارض الواقع، وتحليل الخطاب السياسي للقوى الفاعلة في النظام التي لها القدرة على تحويل الاحداث وتحقيقها وفق مقتضيات المصلحة والهدف.

هيكلية الدراسة: Study structure

ستتضمن الدراسة على ثلاثة مطالب، حيث يتناول المطلب الاول على الاصول الفكرية والفلسفية للنظرية من خلال ما طرحه المفكرين والفلاسفة والتطور الحاصل على المفهوم من حيث ما تم تناوله، والمطلب الثاني ذهب لدراسة المبادئ الاساسية التي تضمنتها فكرة الحرب العادلة والتي لا بد من وجودها لتضفي على فكرة الحرب العادلة والاخلاق، المطلب الثالث فتضمن دراسة نقدية للتطبيق الواقعي لفكرة الحرب العادلة بعد دراسة واقع الحروب التي شنت باسم العدالة والاخلاق ومآلاتها، فضلاً عن امكانية خوض حروب جديدة بؤوى وتصورات وتوجهات جديدة تجعل من فكرة التضامن العالمي هو اساس العدالة في التوجه.

المطلب الاول

الاصول الفكرية والفلسفية لمفهوم الحرب العادلة

The first requirement

The intellectual and philosophical origins of the concept of just war

مفهوم الحرب العادلة ليس بجديد فقد تم تناولة من قبل مجموعة من المفكرين والمنظرين بعد ان حاولوا ايجاد صيغة معينة يبرر من خلالها فعل الحرب التي تفرضها الظروف الدولية وتحت مسميات مختلفة، بالتالي تم مناقشة رؤى وتصورات وافكار دعمت الفكرة التي حولتها فيما بعد إلى نظرية يتحدث عنها ضمن سياقات الفعل وضرورة تطبيقه، بعد ان تحولت الحرب إلى فكرة باعثة للنشر والدمار والخراب من خلال الممارسات التي يتم اتباعها في حوض الحروب والاليات والادوات التي يتم استخدامها فيها، بالمحصلة بات الحديث عن مفهومي العدالة والاخلاق بعد ان تبلورت في اذهان وفكر العديد من المفكرين، بالتالي سوف نتناول في هذا المبحث الأفكار الأولية والاساس لنشوء هذه الفكرة الذي تحول إلى نظرية وكيف تم تسخير الافكار والمنطلقات عند الدول ليومنا هذا.

في البداية قد يرى الكثيرين ان هذا المفهوم لا يختلف عن مفهوم الحرب التي تعد واحدة من ادوات السياسة الخارجية للدولة والتي من خلالها تستطيع ان تحقق اهدافها ومصالحها، لجملة من الاعتقادات الراسخة من ان مفهوم الحرب واحد وآثاره واحدة ونتائجه على الرابح والخاسر واحدة، وهذا ما يعطي انطباعاً ان فكرة الحرب لا يمكن ان تتسم بصفات الاخلاق والعدالة لطالما يتخللها تدمير وانتقام وتسلط وعقوبات قد تصل حد الإبادة، بالتالي فإن الحرب هي سواء كانت بقصد الحماية او التدخل سيان لما تحمله في طياتها من نتائج كارثية على الجنس البشري، وقد ذهب المفكرين الذين فسروا معنى الحرب على انها عمل عدواني يؤدي في اغلب الأحيان إلى الهلاك أما الحرب العادلة بالمفهوم الذي شرحة المفكرون فهي تطبيق اخلاقي للعدالة من خلال الحرب وفق مبادئ وشروط معينة.

قد يرى البعض ان مفهوم الحرب العادلة مفهوم سياسي عسكري على اعتبار يخص أولاً، القرار السياسي المتخذ للحرب والثاني الفعل الحربي من خلال الجيوش والاسلحة المستخدمة في ساحات المعركة ووفق ظروف معينة ايضاً، لكن الحقيقة ان هذا المفهوم هو لاهوتي فلسفي تم الحديث عنه وفق ايجاد قواعد شرعية واخلاقية لتحقيق العدالة من خلال حوض الحرب وايضاً وفق توجهات واضحة فعلى سبيل المثال طرح (افلاطون) فكرة الحرب العادلة من خلال وجود حربيين لابد التمييز بينهما فالحرب هي حالة الصراع او النزاع بين دولتين او اكثر اما النزاع الداخلي هي بمثابة الحرب الاهلية او الانشقاق الداخلي الحاصل بين شعب دولة ما، بالتالي فان افلاطون يرفض الحرب بشكل كامل إلا في الحالات القصوى والحالة القصوى هي عند المضي لتحقيق السلام والعدل، بالمحصلة فان الحرب العادلة عند افلاطون هي تلك الحرب التي تصطبغ بطابع انساني اخلاقي عادل، اما (شيشرون) فيجد ان الحرب العادلة تقوم على مبادئ هما العدالة والاعتدال^(١)، بالتالي فان شيشرون يجد ان الحرب التي لا اسباب مقنعة في شنها لا تعد حرباً عادلة ما لم يطبق فيها القانون ومكافحة الظلم ونشر الاخلاق^(٢).

١ جميل حمداوي، هل هناك حرب عادلة؟، كتاب الاصلاح، الكتاب الرابع عشر، سلسلة الكتب الالكترونية، المغرب، ٢٠١٦، ص ٣٤ - ٣٧.

٢ سليم حميداني، نظرية الحرب العادلة والتدخل الانساني: مقارنة ادراكية، كلية الحقوق والعلوم الاسلامية، الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٦، ص ٤٢٢.

واول من تناول هذه الفكرة بشكل معمق هو "القديس اوغسطين" الذي ناقشها من خلال النسق العقدي وتبنياته الدينية المسيحية بعد ان اوجد ان المسيحية لا بد ان تكون هي الاساس الانساني في التطور وبناء الدولة بعد ان عد المسيحية نقطة تحول في التاريخ على اعتبارها مرحلة جديدة في الصراع ما بين قوى الخير والشر^(٣)، بالتالي طرح تساؤلاً حول هل من الضروري ان يكون المسيحي أثماً إذا شن حرباً؟ فقد وضع اوغسطين في مؤلفه "مدينة الله" خطوط دفاع عن المسيحية التي اتهمت بانها هي اساس تدهور الامبراطورية الرومانية والتي ادت بالنتيجة إلى انحلالها، ومن خلال ذلك توصل إلى فكرته التي تبحث في اهداف التاريخ الانساني واهميته، من خلال هذه الافكار دعا إلى الغاء فكرة الحرب إلا بعض الاستثناءات التي وافق عليها والتي أيضاً ضرورية^(٤)، بالمحصلة فان اساس الحق عند اوغسطين العدالة والقانون الجائر لا يعد قانوناً ولا يمكن ان يكون لنفسه حقاً طالما كان جائراً وان استخدام القوة تسخير من قبل الخطيئة لتكون ضرورية لتؤيد العدالة او لتخلق العدالة، بالتالي فان اثبات العدالة بالقوة عند اوغسطين قد تصل حد الحرب وهذا منافي للاخلاق على اعتبار ان الحرب صفة ممقوته سيما إذا اصطبغت بالفتح والحقد والانتقام، اما المدن التي تحاول دفع الخطر عنها من معتدٍ فلها الحق في مقاومته ومحاربه لان انتصار الاشرار تمثل حالة من النكبة الاخلاقية مما تجعلهم في تمادي مستمر، بالتالي فان الحرب تكون مشروعة عند اوغسطين في حال كان اساسها صيانه الحقوق المهددة^(٥)، وهنا وضع اوغسطين ثلاث شروط تؤكد على عدالة الحرب والتي تعد من ضمن الجوانب الجوهرية التي لا بد ان تتوفر هي^(٦):

- ١- ان تعلن الحرب سلطة شرعية والاخيرة هي من تباشرها بنفسها.
- ٢- ان يكون سبب الحرب سبباً عادلاً لدفع الظلم.
- ٣- ان تكون ركائزها مواجهة الاعتداء وارغام العدو على قبول السلم لا على الايذاء والتسلط والانتقام.

فالقديس اوغسطين يرى من خلال فكرته عن الحرب العادلة انه من الافضل للمسيحي ان يعاني من الاذى على ان يسبب الاذى لغيره، وي طرح سؤالاً حول هل يطلب او يسمح لشخص مسؤول اخلاقياً ان يلتزم نيابة عن اشخاص ابرياء اخرين بعدم الدفاع عن النفس؟، يجيب اوغسطين بكلا على اعتبار ان المرء اذا ما اثبت له على ان هناك اناس ابرياء في وضع يسمح لهم بالدفاع عن انفسهم وانهم سيتعرضون لخطر كبير ما لم يسمح لهم بالدفاع عن انفسهم وانهم سيتعرضون لخطر كبير هنا يستدعي المبدأ الاخلاقي القاضي بمحبة الجار تدخلنا بالقوة^(٧)، اما توماس الاكوييني في القرن التاسع عشر فقد قسم القانون إلى أربعة أقسام (القانون الأزلي - القانون الطبيعي - القانون الالهي - القانون

^٣ جورج سباين، تطور الفكر السياسي الكتاب الثاني، ترجمة حسن جلال العروسي، مراجعة وتقديم محمد فتح الله الخطيب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٨٠.

^٤ بوناب كمال، جدلية تقنين منظومة تشريعية دولية للحرب في ضوء التراث المسيحي الوسيط ومن خلال الحروب العادلة لـ"مايكل والزر"، مجلة المعيار، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، الجزائر، عدد ٤٢، ٢٠١٧، ص ٣٧٣.

^٥ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط، مراجعة وتنقيح هلا رشيد امون، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤، ص ٤٦.

^٦ المصدر نفسه، ص ١٦٣.

^٧ ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٥٤.

والانساني) ووضعت القوانين الازلية والالهية والطبيعية قواعد ومعايير للسلم والاخلاق وقد تطبق على البشر لكن يتعذر تطبيقها على كل البشر، اما القانون الاكثر ملائمة للبشر هو القانون الانساني الذي قسمه إلى قانون الشعوب وقانون مدني وهذا القانون من رأي الاكوييني يطبق على نوع واحد من المخلوقات على شرط ان يلائم التعاليم المسيحية، بالتالي فان الاكوييني ينظر على ان القانون الإنساني وماذا يعني؟ من استخدام القوة لتنفيذ يرجع إلى طبيعة الانسان، على اعتبار ان استخدام القوة ليس بالشيء الجديد بل حق ومعقول تعكسه الفطره^(٨).

بالتالي فان الاكوييني يرى ان استخدام القوة لابد من ان يخضع لثلاث شروط ويشير من خلالها لنظرية الحرب العادلة هي^(٩):

١- عدالة الاساس القانوني.

٢- عدالة القضية.

٣- سلامة المقصد.

بعدها جاء (مايكل والزر) في القرن العشرين ووضع تعريف الحرب العادلة على انها " الحروب المحددة والمقننة والمتوافقة مع مجموعة من المعايير والضوابط التي تهدف إلى الحد من العنف أو الانتقام أو العدوان على الساكنة المدنية"، بالتالي فان والزر يرجح تقليد الحرب العادلة في فلسفته التي استمدها من العصور الوسطى والعصر الحديث إلا انها مجموعة من المبادئ والمعايير الاخلاقية التي من خلالها تُحدد الوسائل والغايات الخاصة باستخدام العنف من جانب الدول، ويذهب إلى ان هذه المبادئ والمعايير الاخلاقية هي بالضرورة مشتقة من المعايير القانونية والأفكار الدينية واللاهوتية والفلسفية التي تشمل المجتمع الدولي بأكمله، بالمحصلة فهو ينطلق من مفهوم حقوق الافراد التي تعد اساس نظريته والتزر للحرب العادلة على اعتبار ان حقوق الدولة مشتقة من حقوق مواطنيها فيؤكد بالقول (ان حقوق الدول وواجباتها ليست اكثر من كونها حقوق وواجبات الاشخاص الذين يشكلونها)^(١٠)، بالتالي فان والزر اتفق معه توماس هوبس في جزئية حق الافراد في الدفاع عن انفسهم على اعتباره حق مطلق لهم، والحرب العادلة عنده تؤكد على حقوق الدول في وحدة اراضيها الاقليمية وسيادتها السياسية وهذه الحقوق تستند على حق افراد كل دولة من الدول في الحياة والحرية والمجتمع^(١١).

وهنا فان مايكل والزر يؤيد ان ميدان الحرب فيه من المعايير الاخلاقية ويؤكد على قاعدة اخلاقية اساسية تعد بمنزلة تحدٍ حقيقي للفكر الاخلاقي، فهو يدافع عن اخلاقيات الحرب العادلة حتى يذهب إلى ابعد من ذلك من خلال تقديم التبريرات التي تجيز استخدام القنابل

^٨ جورج سباين، الكتاب الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٨.

^٩ أحمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، دار زهران للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١١، ص ١٢٩.

^{١٠} حمدي الشريف، نظرية الحرب العادلة بين اليوتوبيا والايديولوجيا، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، ابريل ٢٠١٦، www.mominoun.com، وضع والتزر النموذج المشروع من خال طرح فكرة اساسية تضيف إلى مشروعية الحرب من منظور اخلاقي بمسمى مذهب المسالمة الذي ينكر الحرب بشكل مطلق ومذهب العنف الذي يقوم على فكرة انه ليست هناك علاقة بين الحرب والمبادئ الاخلاقية.

^{١١} المصدر نفسه.

في الحرب^(١٢)، بالتالي ينطلق والتزر من جملة من الاستقهامات عن فكرة الحرب العادلة من خلال اسئلة هي كيف ممكن ان نفهم الحقيقة الاخلاقية للحرب، وكيف للجنود ان يحاربوا مالم يكونوا على قناعة بالحرب؟، بالتالي وضع الاجابات عن هذه الاسئلة من خلال الاتي^(١٣):

- ١- الاقرار بالصعوبة التي تسود بعض القرارات التي تعود إلى التركيبة العالمية.
 - ٢- اعتقاد ان اللغة تعكس طبيعة هذا العالم الذي نعيشه، والقاموس الاخلاقي يعبر عن طبيعة مقبولة وعامة من خلاله نستطيع اصدار احكام جماعية.
 - ٣- الحياة الاخلاقية تعكس طابع الحياة الجماعية لا الفردية.
- برر والزر فكرة الحرب من خلال المقبولية الاخلاقية واطرها باطار قانوني بعد ان جعلها مقتصرة على الوحدات القتالية، ودافع عن سياسات التدخل واكد على ان الحرب العادلة هي حرب محدودة تسير وفق قاعدة تعمل على الحد من استخدام العنف والاكراه تجاه المدنيين العزل، وتقوم الحرب العادلة عند والزر على ثلاث مقومات أساسية هي^(١٤):
- ١- تحديد عدالة الحرب من حيث الاسباب والدوافع والظروف التي ادت بالدولة لاتخاذ قرار التدخل العسكري، بالتالي فان لهذه الحرب سبب عادل وظرف عادل.
 - ٢- تحديد الوسائل المستخدمة في تدخل الدولة العسكري عند الحديث عن الحرب العادلة.
 - ٣- استجلاء أهداف الرب والغايات القريبة والبعيدة من خلال الحديث عن الحرب العادلة.
- ومع حدوث احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وقع والتزر مع ستين اكايمي وثيقة او ما اسموه بياناً حمل عنوان (ماذا نحارب: رسالة من امريكا)^(١٥)، جاء في هذا البيان او المانفيسستو الحديث عن ضرورة قيام الامة الامريكية بالدفاع عن نفسها من خلال القوة المسلحة التي تمتلكها وتوظيف قدراتها لمحاربة الاعداء ومطالية المعتدين عن تقديم تبريرات لفعالهم هذه، والبيان يعترف بان الحروب تمثل الفشل السياسي للانسانية لكنهم (الموقعون) يقرون ان الحرب التي سوف تخوضها الولايات المتحدة ضد الارهاب هي حرب اخلاقية ومشروعة، بالمحصلة فان فكرة الحرب العادلة هي بالاساس مبنية على جذور التعاليم الاخلاقية والدينية التي تضم انعكاسات لتعريف الحرب العادلة^{١٦}
- بالتالي فان هذا المانفيسستو تحدث عن خمس حقائق كما يسمونه هي^(١٧):

- ١- جميع البشر يولدون متساوين الحقوق والاعتبارات.
- ٢- اي مجتمع عامله الاساسي الانسان بالتالي فان دور الحكومة الشرعي توفير الحماية والمساعدة له.
- ٣- البشر يرغبون البحث عن الحقائق حول جدوى الحياة والغايات القصوى.
- ٤- حرية الضمير والحرية الدينية هي حريات لا يمكن انتهاكها.
- ٥- القتل باسم الله مخالف للايمان به، ويعد خيانه للايمان الديني.

١٢ عشاب فطيمه الزهرة، اشكالية الحرب العادلة في فكر مايكل والتزر، جامعة وهران، مجلة الراصد، العدد الخامس، الجزائر، ٢٠١٨، ص ١٤٢.

١٣ المصدر نفسه، ص ١٤٤.

١٤ جميل حمداوي، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.

١٥ بوناب كمال، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٥.

١٦ ناظم عبد الواحد الجاسور، المرجعية الفكرية للخطاب السياسي - الاستراتيجي الامريكي ما بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١١٩.

١٧ المصدر نفسه، ص ١١٣.

المطلب الثاني

توظيف مبادئ الحرب العادلة.

The second requirement

Employing the principles of just war

في البداية لا بد من استعراض المبادئ الأساسية للحرب العادلة والمقاصد والاهداف التي تعمل من اجلها وفق ما تم وضعه وتبنيه من قبل المفكرين والباحثين تحديداً لهذا المفهوم الذي تحول إلى نظرية تمت صياغة عناصرها وفق متبنيات فكرية وفلسفية نظرياً، من ثم دراسة الجوانب العملية والصيغ والاجراءات التي تم اتباعها في سبيل دمج النظرية بالتطبيق كل وفق ما يرتابه ويراه متناسق ومناسب لتفسير المبررات العملية مع مبادئ هذه النظرية وثوابتها. للحرب العادلة مجموعة من المبادئ الأساسية التي وضعت الخطوات الأساسية للدول التي تحاول ان تخوض حروبها باسم العدالة والاخلاق وهي:

أولاً: السبب العادل. **just cause**

أول المبادئ يتطلب وجود سبباً عادلاً لشن الحرب على الجهة الاخرى وفق القواعد التي يقرها القانون الدولي سواء كان رد عدوان او رفع ظلم او قضية عادلة^(١٨)، بالرغم من عد الحرب واعتبارها شراً لكن من خلالها يمكن الوصول إلى الخير وهذا يتطلب التقيد بمبادئ وشروط اي ان يكون هناك سبباً مشروعاً يجيز شن الحرب، وإذا ما اردنا ان نبين من خلال دراسة النوايا من الحروب الحاصلة نجد في الغالب ان بالمجمل اخذت هذه الصيغة لتبرير شن الحرب على وفق مسوغاتها التي تراها مشروعة مثل الحرب على اليوسنة والهرسك ١٩٩٥ وكوسوفو ١٩٩٩ وحرب افغانستان ٢٠٠١ والحرب على العراق ٢٠٠٣، لكن السؤال هنا اين السبب العادل بشن الاعتداءات الموجهة من قبل الكيان الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني واغتصاب ارضه بالرغم من عدم مشروعية الإجراءات والممارسات المتبعة والتي يعدها قادة الكيان الإسرائيلي حرباً ضدهم، إلى جانب الصمت عن كل ما يحدث على ارض فلسطين.

ثانياً: الملاذ الأخير (الخيار الأخير). **Last resort (last option).**

اي ان تكون الحرب الوسيلة الاخيرة او نقطة التحول الاخير في العلاقة بعد ان يتم استنفاد كل الطرق والوسائل من قبل الدولة او الجهة التي تكون مسؤلة امام الجميع بشن او اتخاذ قرار الحرب مثل الوساطة والتحكيم والمساعي الحميدة الخ... من الممارسات والاجراءات التي لا بد اتباعها، وبعد ان تصل هذه الجهة إلى نقطة ان الحل الوحيد هو شن الحرب يكون مبرراً لها وفق القانون ووفق الاحكام الموضوعة^{١٩}، وهذا ما حصل في حربي الخليج الثانية ١٩٩٠ (حرب غزو الكويت من قبل العراق) وحرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣ (حرب احتلال العراق) بالرغم من اللغط الحاصل عن نيه شن هذه الحرب واسبابها لكن الاعلان المتعارف عليه هو استنفاد كل الطرق من تخلي العراق عن الاسلحة الكيماوية، بالمحصلة فان هذه الحرب التي شنت تحت مظلة الحرب على الارهاب ودول محور الشر لم تكن سوى حرب مصلحية اخذت جوانبها من جانب واحد، بمبررات ومنطلقات ادت بالنهاية إلى كوارث سنناقشها لاحقاً.

^{١٨} ناظر دهام محمود و صباح جابر كاظم، الحرب العادلة في الفكر السياسي الامريكي المعاصر، مجلة تريت للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية جامعة تكريت، العدد ٢٢، ٢٠٢٠، ص ١١١.

^{١٩} ملكية قادري، الحرب الامريكية على العراق عام ٢٠٠٣ تحت مظلة الحرب العادلة، مجلة العلوم الاجتماعية والاسلامية، جامعة محمد بو ضياف، المسلية، الجزائر، العدد ١٢، ٢٠١٦، ص ٤٨١.

ثالثاً: التناسب. proportionality

المنافع اكبر من الخسائر في شن الحرب، قد نرى ان هذا السبب او المبدأ يبحث بمثالية عالية ما يتضمن من تفسير في ثناياه، فالحرب بكل تجلياتها خسارة حتى على المنتصر في الابد البعيد الخاسر لا بد ان يرضخ لقانون المنتصر والذي يحاول ان يذل الخاسر وبكل الاحوال لا بد من الاخطاء ان تحصل، ايضاً لا بد من تناسب في مستويات العنف المستعمل في الحرب لاجل الوصول للهدف المرجو، بالمحصلة يبدو من الضروري ان يتناسب او تتناسب هذه القياسات بين الربح والخسارة واستخدام مستويات معينة من العنف عن طريق التعاون مع الأطراف الاخرى والقصد هنا المشاركة في فعل الحرب، بالتالي فان الدول تختلف في قياس نسب الربح والخسارة على اقل تقدير من وجهة نظرها^(٢٠)، لغاية اللحظة والحروب التي شنت حتى باسم الحرب العادلة خسائرها اكبر على النظام الدولي بشكل عام لما تحمله من مآلات على شكل الدول وعملية التعاطي مع توجهات الربح، وحتى الطرف الرابح يعاني من عملية ادارة ما بعد الحرب للصعوبة البالغة من حيث عدم فهم وطبيعة سيكولوجية الدول ومجتمعاتها ما بعد الحروب.

رابعاً: اليقين من النصر. Certainty of victory

الفكرة هنا تؤكد على ان الجهة المسؤولة على شن الحرب لا بد من ان تتيقن من ان حربها هذه محسومة سلفاً لها، وهذا قد يجعلها تستخدم كافة الوسائل والاساليب لتحقيق هذا النصر وبشتى الطرق، مما تضطرها من استخدام الاسلحة حتى المحرمة منها كما حصل في افغانستان عام ٢٠٠١ من قبل الولايات المتحدة الامريكية، هذا إلى جانب عملية الضغط التي تمارسها الدولة او مجموعة الدول التي تشن الحرب، وهذا قد يؤدي إلى ان نجد شواهد كثيرة على الاستخدام المفرط للعنف في سبيل تحقيق النصر في الحرب.

خامساً: الوسائل المشروعة. legitimate means

أي أن تكون الوسائل المستخدمة شرعية وعادلة^(٢١)، السؤال هنا كيف يحدث ذلك؟ في البداية هذا المبدأ يرتبط مع المبدأ الرابع اعلاه من حيث الاستخدام المشروع للوسائل، فمن وجهة نظر الولايات المتحدة ان الرد على الهجوم الذي تعرضت له في بيرل هاربر كا لا بد ان يتناسب مع حجم الهجوم مما جعلها تستخدم القنبلة النووية في هيروشيما وناكازاكي، ايضاً استخدامها القنابل ذات الاوزان الكبيرة زالمؤثرة على القشرة الارضية والبيئة والمناخ هو ضمن عملية الرد الوقائي الذي تستخدمه ضد اعدائها، حتى اذا ما اردنا ان نشير للحرب الروسية الاوكرانية ٢٠٢٢ نجد ان القوة المفرطة من قبل الروس الذين يعتقدون ان حربهم هذه عادلة وضرورية كي لا يتم تطويق روسيا واضعافها وجاءت كنوع من الدفاع عن الوجود، فالاسلحة المستخدمة والقوة المفرطة تنفي مشروعية الوسائل التي تحقق او تثبت عدالة الحرب هذه، نعود للسؤال الحرب هي بالعادة شر كما يعبر عنها الباحثين والدارسين حتى وان كانت واحدة من ادوات السياسة الخارجية لكنها بالضرورة لها اثرها السلبي على الدول والشعوب هذا من جانب، الجانب الاخر مهما تم استخدام انواع محددة من الاسلحة لا بد وان يحدث من ان الجيوش لا تعرف في بعض الاحيان او لا

٢٠ عبد الله سالم نقرش، نظرية الحرب العادلة وتطبيقها في الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الاردن، المجلد ٣٣، العدد ١، ٢٠٠٦، ص ٩١.

٢١ سامح محمد عبد الفتاح ابو زهرة، فلسفة الحرب العادلة في الاسلام، مجلة بحوث كلية الاداب، جامعة الازهر، sjam.journals.ekb.edu

تميز بين الاهداف اذا اضطرت ان تحسم المعركة في مناطق قد تصعب عليها، ويتحدث مايكل والزر عن الاهداف المشروعة في الحرب من خلال ما اسماه (عقيدة النتائج المزدوجة)^(٢٢)،

سادساً: حصانة غير المقاتلين. Immunity of non-combatants

هنا لا بد من التمييز بين المقاتلين والمدنيين في الحرب، او كما يسميه والزر الابراييا والاثمين، وهنا وقبل الحديث عن هذا الشرط لا بد من سؤال نظرحه ونحاول من خلاله تفكيك ثنائية البريء والاثم، هل يعد المقاتل الذي يدافع عن ارضه اثماً؟ وهنا نقصد المقاتل في هذه الحالة حامل السلاح ضد الاعتداءات التي تواجهها ارضه على اقل تعبير، فعلى سبيل المثال المقاتل الفلسطيني هل يعد اثماً في حال الدفاع عن ارضه محاولة منه استرجاعها من الكيان الاسرائيلي، الجانب الاخر من المعادلة كيف تقاس العدالة في هذه الحالة كما الحال في العديد من الدول التي واجهت التوجهات والمنطلقات الامريكية في مناطق مختلفة من العالم منذ بدايات القرن العشرين ولغاية اليوم، نعود للحرب الروسية الاوكرانية وحجم القتل والتشريد الذي طال المدنيين الاوكرانيين، بالمحصلة فان الشرط هذا يتطلب ادارة من الجهة المسؤولة ادارة العمليات العسكرية بشكل عادل وفقاً للقوانين والاعراف الدولية لما له صلة بالقانون الانساني من خلال معاملة الجرحى والاسرى ايضاً^(٢٣). بالمحصلة القصد من هذا الشرط هو عدم استهداف المدنيين التمييز بين ما هو مدني وعسكري، بالتالي نحن هنا امام تناقض فيما يخص مفهوم الاخلاق والعدالة التي يتم التنظير لها من خلال مفهوم الحرب العادلة، وهذا ما حدث في ١٣ شباط ١٩٩١ في حرب الخليج الثانية عندما استهدفت الطائرات الامريكية ملجأ العامرية على اعتباره مقراً قيادياً عراقياً وراح ضحية هذا الهجوم ٤٠٨ مدني عراقي^(٢٤)، وهذا يعكس مدى عمق القدرة على السيطرة في الحروب لا نقصد هنا الخطأ وانما القصد والغاية.

سابعاً: السلام العادل. just peace

هذا الشرط يتحدث عن السلام الذي يلي انتهاء العمليات الحربية، على اعتبار ان الحرب شنت لاسباب عادلة فلا بد من ان تكون النتائج تضيي للعدالة، بالتالي فشاهد الحرب الامريكية على العراق لم يكن يعكس صدقية النية في الخلاص من نظام استبدادي لا بل راحت من خلال القرارات الصادرة من قبل الحاكم المدني الامريكي انذاك (بول بريمر) من تدمير الدولة العراقية، كذلك ما حدث في سابقها افغانستان ومن ثم ليبيا، كل الحروب التي ساهت بها الولايات المتحدة هي بالاساس تفقد الكثير من الشروط التي تؤسس لقيام حرباً عادلة، والعديد من الصراعات الحاصلة منذ بداية القرن العشرين ولغاية اليوم هي صراعات مصلحة تتبعها الانانية التي تتمتع بها الدولة من خلال ترجمة مخرجات صناع قرارها، بالمحصلة فان الدولة لها ذات صفات البشر اولها المصلحة والانانية. بالتالي كل حرب تحدث لا يستطيع اي طرف من الأطراف أن يحدد فيما غذا كانت عنيفة أم لا أو يضع صيغ ثابتة للعنف المستخدم فيها لان النتيجة وفي ساحات المعركة سوف يتم

٢٢ حمدي شريف، مصدر سبق ذكره، ص ١٧، هذه العقيدة تعمل على تحديد الافعال التي يتم القيام بها في الحرب ضد الاهداف التي يطلق عليها بالاهداف المشروعة من حيث:

١- تعزيم القيام بهجوم مسلح على عناصر واهداف مشروعة للدولة المعتدية.

٢- هناك احتمالية كبيرة ان تصاب العناصر المدنية.

٢٣ عبد الله سالم نقرش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢.

٢٤ العراقيون يستذكرون "اليوم الأسود" .. عندما دكت القنابل الاميركية الذكية ملجأ العامرية، مركز الجزيرة للدراسات، www.aljazeera.net

الافراط بالعنف والوسائل الحربية المستخدمة لضرورات تضعها القيادتين السياسية والعسكرية، بالنتيجة لا يمكن ان نحدد هذه الحرب عادلة أم غير عادلة لأنها تقع في معادلة بين طرفين وكل طرف يرى في حربه مقدار من العدالة والاخلاق، وله الحق في الصراع التنافس والحق في دفع الضرر عن نفسه^(٢٥).

المطلب الثالث

هل هي حرب عادلة؟

The third requirement

Is it a just war?

من الممكن تبيان أن للسياسة الدولية بعد أخلاقي سواء من خلال الاحتكام لقواعد القانون الدولي أو التمييز بين أنواع الحروب العادلة وغير العادلة، بالتالي فان عملية تأسيس فكرة للنظام الدولي تعمل على تنظيم مجموعة من المسؤوليات الأخلاقية التي تشترك في التدابير الوقائية والإجراءات التصحيحية، فمن خلال هذا البعد من الممكن أن تتحدد الجهات المذنبة التي لا بد من محاسبتها سواء لعدم استجابتها للحالات المطروحة أو تلك التي تكون مساهمة في الأزمات، أيضا تتم مناقشة المشكلات التي تخص السياسة العالمية على اعتبار أن هناك جهات يدعمون تصورات معينة حول جهات مهمة بعد أن يعطون أولوية كبيرة لقضاياهم من خلال تفضيل حقوق أبناء قومياتهم أو مواطنيهم أو حلفائهم^(٢٦)، بالتالي يُطرح تساؤل حول هل من الجائز أخلاقياً التهديد باستخدام العنف؟، من خلال ذلك أيضا يتم التساؤل حول استخدام السلاح النووي الذي يعد مرفوضاً؟، في هذا النظام عُد استخدام القوة مبرراً من خلال طرح فكرة التحكم بالعنف الذي يسمونه العنف المنظم^(٢٧)، من خلال ما تم طرحه من أسئلة محددة بهذا الاتجاه فاغلب المدارس الفكرية والفلسفية حرصت على أن تضع العدالة والأخلاق مفاهيم تبرر استخدام القوة، بالمقابل لا يمكن أن تكون هناك عدالة ما لم تُستخدم القوة وهذا يعكس طبيعة مزاج النظام الدولي ومحركاته وتوجهاتها، خصوصاً مسألة التحيز صوب قضايا عن غيرها فمثلاً تتعامل القوى المسيطرة أو المسؤولة مع الأحداث في القارة الأوروبية أو المناطق الغنية بأمداد النفط والغاز بطريقة تختلف عن تلك المناطق الفقيرة البعيدة عن الأطر الاستراتيجية لها، بالتالي نجد الدولة كما هو فعل الأفراد مدفوعين لتحقيق مصالحهم وخلق خطوط دفاع يحاولون من خلالها الدفاع عن هذه المصالح من خلال الحكومات التي تعمل على تحقيق ذلك، بالمحصلة تعمل الدولة على تحصيل المنافع من التوجهات المرسومة من قبل النظام السياسي الذي يترجم ردود فعل البيئة الخارجية لتصب مخرجاتها في المصلحة الذاتية للدولة. هل تخلق العلاقات بين الدول وتطورها نوع من الفوضى غير الأمنه خصوصاً اذا ذهبنا لتصنيف الدول من خلال المصالح والمنافع إلى جانب القوة والقدرة المتاحة؟ من خلال ما تطرقنا له من المفاهيم والمصطلحات سوف

^{٢٥} فرانسوا بونيون، الحرب العادلة وحرب العدوان والقانون الدولي الانساني، المجلة الدولية للصليب الاحمر، مختارات ٢٠٠٢،

^{٢٦} تيم دان و ميليا كوركي وستيف سميث، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، توني ارسكاين، النظرية المعيارية في العلاقات الدولية، ترجمة ديماء الخضراء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٦، ص ١١٧.

^{٢٧} المصدر نفسه، ص ١٢٤، قامت مجموعة فكرية تُعرف باسم فكر الحرب العادلة بمواجهة صحوة جديدة في الفلسفة، ومحاربة قضية اللامساواة الصارخة في التوزيع العالمي للموارد والثروة في العالم، ويجب أن يضع في الحسبان الالتزامات الأخلاقية نحو الغرباء البعيدين

نتطرق إلى مفاهيم قد حاولت الدول توظيفها في سبيل تعزيز سيطرتها وهيمنتها بالإضافة إلى تضارب النظريات مع مفهوم الحرب العادلة وما تتضمنه من صيغ أخلاقية وعادلة في تطبيقها. لكن هذا لا يمنع من أن الحرب وبكل المسميات التي تطلق عليها هي عبارة عن اتباع طرق غير موثوقة وغير محمودة العواقب لان نتائجها محاولة الدول من بسط نفوذها وسلطانها، وهذا يذهب بنا إلى الحالة الفطرية التي تحدث عنها هوبس هي بحرب الكل ضد الكل بعد أن يتبين في هذا التوجه من العلاقات الدولية أن المصالح هي الرابط بين الفواعل الدولية والنتيجة تحكم على الجميع أن يقرروا بوجود تصنيف للدول على أساسه يتم الحديث عن القوي والضعيف، وهنا جدير بالذكر أن (هانز مورغنثاو) يحذر من الوقوع فيما يخص الأخلاق الدولية بالإفراط من خلال ناحيتين^(٢٨):

١- اثر السنن الأخلاقية على السياسات الدولية.
٢- التقليل من هذا الأثر عن طريق أنكار الحقيقة الواقعة.
بالتالي فهو يضع مجموعة من الأسئلة التي تعبر عن القواعد الأخلاقية منها عما غذا كانت القواعد الأخلاقية قادرة على التحكم في أعمال الناس وإلى أي مدى يكون هذا التحكم؟، وإمكانية السياسيين والدبلوماسيين من تبرير أعمالهم وأهدافهم على الصعيد الأخلاقي دون النظر للحقيقة والحوافز التي تدفعهم إليها؟، بالتالي فهو يتحدث عن مفهوم حماية الحياة الإنسانية من خلال^(٢٩):

١- حماية الحياة الإنسانية في أوقات السلم.
هي العمليات التي تتطلب من الأمم أن تمتنع من إيقاع الموت أو الأذى في ظل ظروف معينة بالمقابل وجود إمكانية تبرير مثل هذا السلوك على ضوء هدف اسمي.

٢- حماية الحياة الإنسانية في أوقات الحرب.
وهذا الجانب يتناول المدنيين والمحاربين العاجزين عن الحرب وغير الراغبين فيها، على اعتبار أن الحرب ليست صراعاً بين جميع الناس بل هي حرب الجيوش المتحاربة فلا بد من التمييز بين المحاربين وغير المحاربين، بالمحصلة لا بد من العناية بالإنسانية وحياة الناس وألامهم إذا ما تعرضوا لخطر الحرب ودمارها.

٣- الإدانة الخلقية للحرب.
في هذا الجانب يتحدث مورغنثاو عن القيود الأخلاقية التي تحدد استعمال الحرب كأداة للسياسة الدولية، بعد أن تناول الساسة مزار الحرب وكيف أنها قد تستعمل أو تشن في سبيل أغراض مثل الدفاع عن النفس أو الواجب الديني، وهذه الإدانة تكون من خلال توظيف بعض المفاهيم مثل الحرب الوقائية كاحتمال نشوب الحرب بالرغم من أنها بها ما هو نفع للمصلحة القومية للدول.

٤- الأخلاق الدولية والحرب الجماعية الشاملة.
إن العصر الحديث يضع قيوداً أخلاقية على تسيير دفة الشؤون الخارجية من خلال تبيان تأثيرها على حياة الناس (أفراد وجماعات)، بالتالي فإن غياب القيود الأخلاقية ساعد على تحطيم حياة الإنسانية الذي تزامن مع الطبيعة الجماعية الشاملة للحرب، بعد أن أثبتت

^{٢٨} هانز مورغنثاو، السياسة بين الأمم: الصراع من اجل السلطان والسلام، القسم الخامس، ترجمة خيري حماد، كتب سياسية، ١٩٦٥، ص ١٥.
^{٢٩} المصدر نفسه، ص ١٧.

التجارب التاريخية وحسب فكرة توماس هوبس الداعية حرب الجميع ضد الجميع تبلورت في إن الجميع كان يقف لحرب الجميع ليكونوا أعداء متحاربين. بالمقابل وعند عرض كل الأفكار والآراء التي تناولت الحرب العادلة من خلال توظيف مفهومي العدالة والأخلاق في نشوب الحروب نجد أن التنظير حولها كان من مسلمات النتائج التي كانت ولا تزال تعاني منها الشعوب، بالتالي القيت المسؤولية على الجهة المنفذة أن تتبع المبادئ الستة التي وردت في ضرورة توفرها لتصبح الحرب عادلة، بالرغم من بعض التبريرات التي تؤكد على إن من الواجب الحديث عن خروقات وإجراءات تتبع ليست بالضرورة مقصودة، إذاً الجوانب النظرية بالضرورة تختلف عن الحقيقة وما يطبق على أرض الواقع بالنسبة للتفكير الاستراتيجي للدول جميعاً التي تحاول فرض قوتها وهيمنتها على نقاط مختلفة من العالم، لأننا أمام سلوكيات أنظمة سياسية مختلفة من حيث الشكل والمضمون والأيدولوجيا والانساق العقديّة هذا فضلاً عن دراسة سايكولوجية صناع القرار في عملية اتخاذ قراراتهم فيما يخص الحرب سواء بالتهديد بها أو شنّها فعلياً. ولقد ركزت نظريات العلاقات الدولية من خلال أفكار الفلاسفة والمفكرين والباحثين فيما بعد حول معيار العدالة والأخلاق ضمن سياقات الحرب لاعتبارات ما تفرضه الصراعات من تحديد المهام والمسؤوليات لشن الحروب، إلى جانب معالجة القضايا بالطرق السلمية باستخدام هذا المعيار دون التطرق إلى ضرورة وجود المعالجات الناجعة والابتعاد عن الحروب والأسلحة والقتل والدمار على اعتبار أن الطرق السلمية لا تحقق النتائج المرجوة، لكن هذا يعطي إشارات واضحة من إن استخدام القوة بشتى أشكالها والخروقات والأساليب المتبعة تبعدنا عن صيغ العدالة التي يبحث عنها المجتمع الدولي في حروبه، بالمحصلة لا بد من استحداث أدوات جديدة وتطوير للنظريات فيما يخص وضع معالجات لفكرة تطبيق العدالة والأخلاق في السياسة الدولية والعلاقات بين الدول بمختلف التفاصيل بعيداً عن استخدام العنف المسلح والحروب والقتال والجيش والتدمير وعمليات الإبادة الجماعية لهذه الأمة أو تلك، فالحجج الموضوعية اليوم وحتى سابقاً لا تعني أن كل من يتحدث عن عدالة القصد يحمل من الصدقية ولنوايا الحسنة ما تجعلنا نؤمن بخطواته المتبعة، و كل الشواهد التاريخية والحالية تدل على حجم الدمار الذي خلفته الحروب سواء بدوافع التدخل الإنساني وحماية الشعوب من الاضطهاد والظلم أو من حيث فكرة الدفاع عن النفس الخ.... من المفاهيم التي تجعل من الحرب ضرورة وحتمية.

الخاتمة. Conclusion

لم يكن الحديث عن فكرة أن تكون للحرب جوانب أخلاقية وعادلة ضرب من الخيال لا بل نظر لهذه الفكرة العديد من الفلاسفة والمفكرين والمدارس الفكرية التي اعتمدت على مجموعة من الأسس والقوانين التي تحولت فيما بعد إلى تشريعات دولية تحاول من خلالها

المنظومة الدولية أن تصيغ مجموعة من القواعد التي تحتم على الأطراف الحاملة للمسؤولية أن تباشر مهامها وفق العدالة والأخلاق من خلال حسن النوايا وسلامة المقصد، وما شئت الحروب حتى كانت نتائجها بعيدة عن الحكمة والعدالة والأخلاق لا بل كارثية ابتداءً من الحرب العالمية الأولى ولغاية يومنا هذا، فكل الحروب العادلة وغير العادلة تحمل في طياتها منافع ومصلحة وأهداف تحاول الدول تحقيقها بأي ثمن كان غير مكترثة للعواقب التي تقع على الشعوب، بالتالي فإن فكرة وضع أسس جديدة للحد من فكرة استخدام العنف في السياسة الدولية أصبحت ضرورة ولا بد من إعادة التفكير في هذا الجانب الحساس من القضايا العالمية، إلى جانب مغادرة التحيز والتمييز بين القضايا على أساس المنفعة والتحالف والأهمية بعد أن بات تدوير القضايا الدولية يُرسم بمزاج القوى الكبرى وأهمية التوجه الذي تحدده بالمقابل فإن إقامة حرب واستهداف منشآت مدنية وصحية وتعليمية وصناعية هذا يعني شل للحياة الإنسانية في هذه النقطة مما يجعل من فكرتي العدالة والأخلاق مثاليين في الواقع، بالمحصلة فإن فكرة إقامة حرب لا تعني بالضرورة أن يشن المجتمع الدولي أو الدول المسؤولة حرباً حقيقية بمعناه المسلح والتدميري بقدر ما تكون حرباً تكافئية تحمل طابعاً تشاركياً تعاونياً لمعالجة القضايا الإنسانية، قد يكون الطرح يحمل في ثناياه المثالية العالية التي من صعب تطبيقها لكن من فالأجدر أن تشن حرباً عادلة ضد الفقر والتصحر والتغير المناخي ومكافحة الجوع ومحاربة المخدرات، تُشن حرباً على توريد الأسلحة للجماعات المسلحة التي تهدد الأمن والسلم المجتمعي في الدول والجماعات الإرهابية التي تبتث الرعب والهلع في نفوس البشر، تُشن حرباً لمكافحة الأوبئة لا نتشارها وتخصيص لجان دولية تعمل على أسس المساواة في هذا الجانب، ومحاربة كل ما له علاقة بالهجرة والنزوح والتشرد والعنصرية تجاههم، العدالة والأخلاق تطبق من خلال التوزيع العادل للثروات بين الشعوب وتوفي المستلزمات التي تساهم في خلق حياة كريمة.

المصادر: Sources

١. جميل حمداوي، هل هناك حرب عادلة؟، كتاب الإصلاح، الكتاب الرابع عشر، سلسلة الكتب الإلكترونية، المغرب، ٢٠١٦، ص ٣٤ - ٣٧.
٢. سليم حميداني، نظرية الحرب العادلة والتدخل الإنساني: مقارنة إدراكية، كلية الحقوق والعلوم الإسلامية، الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٦، ص ٤٢٢.
٣. جورج سباين، تطور الفكر السياسيين الكتاب الثاني، ترجمة حسن جلال العروسي، مراجعة وتقديم محمد فتح الله الخطيب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٨٠.
٤. بوناب كمال، جدلية تقنين منظومة تشريعية دولية للحرب في ضوء التراث المسيحي الوسيط ومن خلال الحروب العادلة لـ"مايكل والزر"، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، عدد ٤٢، ٢٠١٧، ص ٣٧٣.
٥. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مراجعة وتنقيح هلا رشيد أمون، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤، ص ٤٦.
٦. المصدر نفسه، ص ١٦٣.
٧. ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٥٤.
٨. جورج سباين، الكتاب الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٨.

٩. أحمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١، ص ١٢٩.
١٠. حمدي الشريف، نظرية الحرب العادلة بين اليوتوبيا والأيدولوجيا، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، أبريل ٢٠١٦، www.mominoun.com، وضع والتزر النموذج المشروع من خال طرح فكرة أساسية تضيفي إلى مشروعية الحرب من منظور أخلاقي بمسمى مذهب المسالمة الذي ينكر الحرب بشكل مطلق ومذهب العنف الذي يقوم على فكرة انه ليست هناك علاقة بين الحرب والمبادئ الأخلاقية.
١١. المصدر نفسه.
١٢. عشاب فطيمه الزهرة، إشكالية الحرب العادلة في فكر مايكل والتزر، جامعة وهران، مجلة الراصد، العدد الخامس، الجزائر، ٢٠١٨، ص ١٤٢.
١٣. المصدر نفسه، ص ١٤٤.
١٤. جميل حمداوي، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.
١٥. بوناب كمال، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٥.
١٦. ناظم عبد الواحد الجاسور، المرجعية الفكرية للخطاب السياسي - الاستراتيجي الأمريكي ما بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١١٩.
١٧. المصدر نفسه، ص ١١٣.
١٨. ناظر دهام محمود و صباح جابر كاظم، الحرب العادلة في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، مجلة تكريت للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية جامعة تكريت، العدد ٢٢، ٢٠٢٠، ص ١١١.
١٩. ملكية قادري، الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣ تحت مظلة الحرب العادلة، مجلة العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة محمد بو ضياف، المسلية، الجزائر، العدد ١٢، ٢٠١٦، ص ٤٨١.
٢٠. عبد الله سالم نقرش، نظرية الحرب العادلة وتطبيقها في الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، المجلد ٣٣، العدد ١، ٢٠٠٦، ص ٩١.
٢١. سامح محمد عبد الفتاح أبو زهرة، فلسفة الحرب العادلة في الإسلام، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة الأزهر، sjam.journals.ekb.eg،
٢٢. حمدي شريف، مصدر سبق ذكره، ص ١٧، هذه العقيدة تعمل على تحديد الأفعال التي يتم القيام بها في الحرب ضد الأهداف التي يطلق عليها بالأهداف المشروعة من حيث:
٢٣. تعتزم القيام بهجوم مسلح على عناصر وأهداف مشروعة للدولة المعتدية.
٢٤. هناك احتمالية كبيرة أن تصاب العناصر المدنية.
٢٥. عبد الله سالم نقرش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢.
٢٦. العراقيون يستذكرون "اليوم الأسود" .. عندما دكت القنابل الأميركية الذكية ملجأ العامرية، مركز الجزيرة للدراسات، www.aljazeera.net
٢٧. فرانسوا بونيون، الحرب العادلة وحرب العدوان والقانون الدولي الإنساني، المجلة الدولية للصليب الأحمر، مختارات ٢٠٠٢،

٢٨. تيم دان و ميليا كوركي وستيف سميث، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، توني ارسكاين، النظرية المعيارية في العلاقات الدولية، ترجمة ديما الخضراء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٦، ص ١١٧.
٢٩. المصدر نفسه، ص ١٢٤، قامت مجموعة فكرية تُعرف باسم فكر الحرب العادلة بمواجهة صحوة جديدة في الفلسفة، ومحاربة قضية اللامساواة الصارخة في التوزيع العالمي للموارد والثروة في العالم، ويجب أن يضع في الحسبان الالتزامات الأخلاقية نحو الغزباء البعيدين
٣٠. هانز مورغنثاو، السياسة بين الأمم: الصراع من اجل السلطان والسلام، القسم الخامس، ترجمة خيرى حماد، كتب سياسية، ١٩٦٥، ص ١٥.
٣١. المصدر نفسه، ص ١٧.

Towards a new vision of just war in the international system (a critical study)

Dr. Atheer Nazim Al-Jasour

College of Political Science/Al-Mustansiriya University

Abstract:

Thinkers, researchers and scholars regarding the concept of war and its outcomes are no longer standing at the point of war as a war of cannons, occupations and invasions, or the threat of it despite its consequences. Employing theory on tangible reality by reading the political discourse of the active forces in the system and the intellectual bases and foundations that promote the development and movement of this concept, The subject of the study was and still requires a deep research into the manifestations of the idea that are based on foundations that make it appropriate and palatable to everyone, despite the fact that it contradicts in terms of application with the concepts that stem from it or what it adopts as a basis for its launch. Political, diplomatic, and military capabilities are involved in determining the extent to which theory matches reality.

Keywords: war - political discourse - just war - employing capabilities - justice.